دراسة لآهم الحصون والقلاع لرحلة القزويني من خلال مصنفة اثار البلاد واخبار البلاد

A study in the most important fortresses and castles of the Qazwini trip through the classified antiquities of the country and the country's news

عبد الهادي نجم عبدالله الحسيني: مدرس في المديرية العامة لتربية صلاح الدين، وزارة التربية العراقية، العراق

Abdulhadi Najm Abdullah Al-Husseini: Academic degree: teacher in Modern and Contemporary History، Iraqi Ministry of Education - General Directorate of Education Salah al-Din

الملخص:

تقوم دراستنا لآهم الحصون والقلاع في رحلة القزويني من مصنفه اثار البلاد واخبار العباد على جانب مهم وحيوي في حياة الامم والشعوب، ويرتبط ارتباطا وثيقا بحياتهم وآمنهم، ويجسد علاقة الانسان الرصينة والوثيقة والترابط الزمني بينهما والدفع بعامل الحرص وعنصر الادامة وتوفير مقومات حصانة ما يؤمن استقرار الحياة، كلها مقومات تفضي الى ذاك الجانب العسكري والحربي، لذا دراستنا تتبع من خلال التركيز على مصنف لرحالة ذاعت شهرته بالبقاع وادرج في عالم الرحلة والرحالة وملئت صفحات الباحثين والمهتمين بإسمه وغدا أسمه لامعا من بينهم عرف ذلك تحت اسم القزويني ومصنفه (أثار البلاد وأخبار العباد)، والذي أعار لقضية الحصون والقلاع واهتم بتدوينها عبر مشاهدته لها ومر عليها برحلته وهو يطوف البلدان والاماكن والمواضع للاهتمام من ناحية البناء والعمران، وما حملته من احداث تشهد على مدى قوتها وحصانتها وترسانتها العظيمة.

الكلمات المفتاحية: الحصون، القلاع، القزويني، رحلة القزويني

Abstract:

Our study of the most important forts and castles in Al-Qazwini's journey is based on his book, Antiquities of the Country and News of the People, on an important and vital aspect in the lives of nations and peoples, closely related to their lives and their security, and embodies the sober and close human relationship and the temporal interdependence between them, pushing the factor of care and the element of perpetuation and providing the elements of immunity that secures the stability of life. These are all elements that lead to that military and military aspect, so our study stems from focusing on a workbook of a traveler who became famous in the Bekaa and was included in the world of travel and travelers and filled the pages of researchers and those interested in his name and his name became brilliant among them known under the name Al-Qazwini and his work (Athar Al-Bilad and Akhbar Al-Abbad), which He lent to the issue of forts and castles and took care of writing them down by watching them and passing them on his journey as he roamed countries, places and places of interest in terms of construction and construction, and the events it carried that testify to the extent of its strength, immunity and great arsenal.

Keywords: forts, castles, Al-Qazwini, Al-Qazwini trip

المقدمة:

مسألة البحث عن عنوان للدراسة ليس من السهل وأيضا لم يكن يشكل عائق في ظل توفر المصادر التاريخية الهائلة التي توفر الكثير من فرص الدراسة وتفسح المجال للكثير من طلبة العلم في اختيار الموضوع. والشروع بجمع المعلومات عنه، وهذا ما حصل معنا عندما كان بين أيدينا موسوعة علمية غزيرة وأمام أنظارنا كتاب أثار البلاد وأخبار العباد القزويني، وبدأنا بترتيب خطة الأوراق البحثية للدراسة عندما قمنا بتقسيمها إلى مباحث عدة، طبيعي أن يكون المبحث الأول متعلق بحياة محمد بن محمود القزويني، وظروف الطواف ببلدان العراق والشام وإيران متاحه له، وأصوله العربية وانحداره من أسرة عربية عريقة، ولقب القزويني اشتق من قزوين مدينة المولد والمنشأ، وتم التطرق إلى مؤلفاته وأهمها اثار البلاد وأخبار العباد، وكانت النشأة والثقافة التي اكتسبها من علماء الدين والفكر في صلب حياته الشخصية، وأيضا ونظرا لعلو شأنه ورفعت مكانته تولى القضاء ايام شبابه في مدينتي الحلة وواسط، وأشارت الدراسة في هذا المبحث إلى رحلته الطويلة ومن ثم وفاته عام ٦٨٣هـ_ ١٢٨٣م، ونتجه بعدها إلى المبحث الثاني الذي تضمن عرض عدد من الحصون والإسوار مثل سور الرقة وحصن المراقب المطل على بحر الشام، وينتقل القزويني برحلة عبر تبريز وحصونها المنيعة والمحكمة، ومن الأسوار التي تم تدوينها في هذا المبحث سور الحضر المدينة الواقعة بين تكريت وسنجار، بعد ذلك تنتقل الدراسة في هذا المبحث إلى الشق الثاني من قضية القلاع التي زارها القزويني وتكون قلعة الشرف قرب زبيدة اليمنية أولها، بعدها تتوالى قلاع جاء على ذكرها القزويني مثل قلعة ارسلان وقلعة فنك وغيرها والتي دون عنها شيء من التفصيل من حيث البناء والأحداث التي شهدتها، ثم نأتي على الخاتمة التي ضمت في محتواها العديد من النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

تساؤلات الدراسة:

إن السؤال الذي يمكن أن يطرحه الباحث في هذا الجانب: لماذا كان الرحالة القزويني كان مقل في المعلومات التاريخية عندما دون كتابه أثار البلاد وأخبار العباد وتناول ذكر الحصون والقلاع، ومبدأ ضعف الدراية التاريخية والعسكرية لديه هل يمكن الإعتماد عليها في ظل عدم توفر المعلومات بما يكفي لتلك الحصون والقلاع وتحديد رؤية تاريخية وسياسية خصوصا الحديث عنها دائما يميل إلى الطابع العسكري والحربي ذات الأحداث الساخنة، وقد يذهب البعض إلى هذا الرأي. أو قد تكون قضية الحصون والقلاع خالية الوفاض من الوقائع والمجريات سبب يجعل من القزويني صامتاً أمامها رأي يمكن أن يعول عليه البعض؟ أم أن القزويني قصد من وراء ذلك عدم اقحام كتابه اثار البلاد واخبار العباد بتفاصيل تاريخية وعسكرية يجعله نسخة تاريخية لمصنفات المؤرخين كالطبري وأبن الأثير ويبعده عن الهدف الرئيسي لمنهج الرحالة كالبكري وغيره في بيان حال المدن في جميع

المجالات وخلق توازن في المعلومات تتوزع بين التاريخ والجغرافيا والأدب والاقتصاد وغيرها يدفع الباحث إلى الأخذ بهذا الرأي متفوقاً على غيره. وبذلك كتاب القزويني آثار البلاد وأخبار العباد ودراسته فرصة جيدة للباحثين والمهتمين وأصحاب العلم في تناول جانب من جوانبه المهمة وتعدد التخصص في شتى المجالات.

منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث في إعداد هذه الدراسة ضمن المنهج العلمي والتاريخي ضمن فترة تاريخية لها ارتباط بالعصور الوسطى، والسبب يكمن في أن دراساتنا الاولية الماجستير والدكتوراه كانت محصورة عندنا تناولنا مواضيع مثل رسوم دار الخلافة الإسلامية في الأندلس ٣٠٠هـ-٤٢٢هـ، والرحالة التجاني مؤرخا توفي اوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، واستمر منهاج الدراسة على هذا المنوال خلال نشر البحوث في المجلات العلمية وحصرها في مجال الرحلة والرحالة المسلمين كما حصل مع الرحالة العبدري والتجاني وابن بطوطة وأخرها القزويني، وهذا المنهاج العلمي للدراسة يتبع لشغف الباحث وتعلقه بهؤلاء الرحالة وايضا للمعايشة الطويلة مع مصنفاتهم دفعت الباحث التخصص في هذا المجال، والتوجه نحو قراءة مصنفاتهم في ظل وفرة المواضيع المتنوعة في دراستها، والقزويني رحالة مسلم مشهور ومصنفه الضخم اثار البلاد وأخبار العباد فيه علوم متنوعة في ظل وفرة الحصون والإسوار والقلاع جعلت منها موضوع الدراسة، لقد اتبع المنهج في هذه الدراسة طريقة التراجم عندما ترجم لحياة القزويني بشكل فيه تفصيل، وكذلك أستخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي أستخدم في بعض الأماكن وتجلى ذلك عند مرور القزويني بمنطقة كرد شير، وكذلك لا ننسى ضمن منهج الدراسة الذي أستخدم في أغلب فصول الدراسة الوصف العمراني للعديد من الأسوار والحصون والقلاع مع إستخدام السرد التاريخي لها وربطها بالإحداث التي مرت عليها، ونرى ذلك عند الحديث عن حصن المراقب سواحل الشام من الناحية العمرانية لينتقل بعدها إلى سير الأحداث، ولا يفوتنا ضمن منهاج الدراسة التعامل مع المصادر والمراجع بالدقة والأمانة في نقل المعلومات والتحقق من مصداقيتها في ظل توافرها في أكثر من مصدر، وقد تم إستخدام تلك الطريقة عند الحديث عن قلعة طنفيد الهندية ومعلوماتها المدونة في أكثر من مصدر مثل المقريزي والعمري إضافة إلى صاحبنا القزويني.

أهمية الدراسة:

تحتوي الدراسة على جانب مهم في سياق الجانب الحربي والعسكري والتطرق لأبرز الحصون والقلاع لما تشكل دراستها في الاتجاه ذاته وظهور معالم بنائها بشكل يلائم وأهميتها العلمية الكبيرة وقيمتها المنهجية في قاموس الدراسات الإنسانية والباحثين والمهتمين، ونظرا لشحت الدراسات حولها وربما عجز المصادر والمراجع في قضية تزويدنا بالبيانات والمعلومات عن تلك القلاع والحصون

ومن ثم تسليط الضوء لموضوع قيد الدراسة يبلغ الأهمية والقيمة الخاصة بهما الى ذروتها، ومسألة التركيز عليها لابد منها، وأضحت حافز مهم للباحث للأقدام على خطوه في هذا الاتجاه، وطرح مصادر الرحالة على لائحة البحث والتدقيق ونجاح المسعى يؤدي الغرض.

صعوبات إعداد الدراسة:

واجهت الدراسة صعوبات من خلال الحديث عن الحصون والقلاع لرحلة القزويني ان أغلب ما ورد في كتابه اثار البلاد وأخبار العباد كان يتحدث عن الجوانب العمرانية للمدن التي زارها إضافة إلى جوانب إقتصادية مثل الزراعة والتجارة مع الأخذ بنظر الإعتبار لبعض العادات والتقاليد التي تميزت بها تلك الاقاليم ويكثر حديثه عنها، على عكس موضوع الجانب العسكري والأحداث التاريخية لها، واحيانا يفصح في حديثه عن هذا الجانب يكون مقتصرا على الناحية العمرانية لها دون الخوض في الأعمال العسكرية المرافق لها، وبيان دورها العسكري البارز بشكل أكثر وأوسع في المعلومات من خلال الهجمات التي تعرضت لها. فالمعلومات العسكرية هذا بحد ذاتها شكل عائق أمام الدراسة واشكل في تغطية الدراسة بشكل أعمق وأكثر تفصيل مما وصلت اليه الدراسة عليه الان.

والمشكلة الأخرى التي واجهتنا هي محدودية الدراسة فقد تقيدنا بمبحثين لا ثالث لهما الأول خاص بحياة القزويني، والثاني انصبت الدراسة فيه على الحصون والقلاع باعتباره الأصل في هذه الدراسة، وقضية إدراج مبحث ثالث يشكل الدراسة ويبعدها عن الهدف الحقيقي التي جاءت من أجله، وترتيب المبحث الثالث وتنويع المعلومات في ظل ندرتها قد يولد ارتباك فيها، وأيضا قد يخلق حالة من تكرار في بعض المعلومات وربما سيناريو المواضيع يجري على نسق يعاد فيه نسخ نفس المعلومات لكن بطريقة أخرى، وهذا بحد ذاته يمثل مشكلة رئيسية امام الدراسة، لذلك قرار الإبقاء على المبحثين بنفس العناوين كان ضروري وهام خصوصاً أنه يخلق ديباجة معلوماتية في التنوع وزيادة المعرفة.

المبحث الاول: لمحة تاريخية عن حياة القزويني

اسمه ونسبه:

زكريا بن محمد بن محمود القزويني أما ولادته بحدود 600هـ / 1203م[1]، وأيضا تبرز بالأفق لتعلن من جديد تاريخا آخرا لمولده سنة 605هـ،[2] فالخلاف في تواريخ الميلاد والوفاه امر لا محال عنه فيما يخص المؤرخين والرحالة ومن المسلمات به. أما أبي يحيى وعماد الدين كنى غلبة عليه، إضافة الى لقب الأنصاري نسبة الى الامام أنس بن مالك صاحب المذهب المالكي، مما قاد الكثير من المؤرخين في العلوم الى الاعتقاد ان عائلة القزويني انتقلت من المدينة المنورة الى قزوين بالعراق العجمي، وتهيئة الظروف له ان يطوف في ايران والعراق والشام[3]. ومن قزوين مدينة المولد اشتق لقبه القزويني واشتهر به، ويشير الاسم والنسب الى انحداره من اسرة عربية، طال استيطانيها للعراق مده طويله[4].

النشأة والثقافة:

امضى القزويني شطر كبيرا من حياته في قزوين ثم بدأ بحركة التنقل وهو في ريعان شبابه، وبما ان بغداد والشام مركز اشعاع للعلم والدين لذلك توجهت انظار القزويني اليهما، ليحظى بفرصة التعلم والتلمذة على يد جهابذة الفكر فيهما وذلك ايام الخليفة المستعصم أخر خلفاء بني العباس، ليبدأ تألقه وأبداعه في العلوم الشرعية واللغوية والجغرافية والتاريخ والنبات والفلك والرياضيات والمعادن لكنه ذاع صيته بين رفاقه في الحديث والعلوم لكنه نبغ في الحديث وعلومه[5]، فحياته وأساتذته فلا يعرف عنها سوى النزر اليسير، وكل ما يمكن البوح به انه كان بدمشق سنة عام 630هـ / 1223م، ليقع تحت تأثير الصوفي الشهير أبن العربي توفي عام 638هـ/ 1240م، ونظرا لأقامته بالموصل نتج عنها رابطه لعلاقه قوية مع الكاتب والاديب الكبير ضياء الدين بن ألاثير توفي (637هـ / 1239م) أخو المؤرخ المشهور عزالدين أبن الاثير صاحب كتاب الكامل في التاريخ[6]، فضلا عن

---

[1] كرا تشكو فسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، نقله الى العربية، الادارة الثقافية، مصر، 1957، ص359؛ زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار رائد العربي، 1981، ص123؛ أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان، بيروت، 1983، ص297.

[2] علي بن عبدالله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة التوبة، ص184.

[3] زكي، الرحالة المسلمون، ص123.

[4] عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، بيروت، 1987، ص503، كرا تشكو فسكي، الادب الجغرافي، ص385، علي الدفاع، رواد علم الجغرافيا، ص10.

[5] علي الدفاع، رواد علم الجغرافيا، ص185.

[6] كرا تشكو فسكي، الادب الجغرافي، ص361.

اتصاله بكثير من الرحالة وقرأته لما سجلوه عن رحلاتهم وجولاتهم مما أفاد كثيرا في كتاب رحلته المعروف باسم ((أثار البلاد وأخبار العباد))[1].

مؤلفاته:

عالم بمكانة القزويني وثقله في موازين العلم والادب من غير الممكن ان يخرج من الدنيا خالي وفاضه من التصانيف والمؤلفات، فقد حملت جعبته كتابين أهمها كتاب ((أثار البلاد واخبار العباد))[2]. ويعود بتاريخه الى عام 674هـ / 1275م[3]، الذي يضفي بمعلومات دسمة في التاريخ والتراجم، ومزود بكثير من الرسوم ويبحث في الجغرافية التاريخية الوصفية بطريقة علمية نادره لذا يعد بحق مؤسس علم الجغرافية التاريخية التي لعبت دور هام في الحضارة الانسانية[4] [10]، قد أشتمل هذا الكتاب ايضا على أخبار رحلته ورحلات الرحالة الذين ألتقى بهم وقرأ كتاباتهم، وكذا دون اخبار من سبقوه من الرحالة، وكثير من المعلومات الجغرافية الهامة لكنها لا ترتقي الى المستوى الذي بلغته المعلومات التي اوردها الرحالة الجغرافي ياقوت الحموي وغيره من الرحالة الجغرافيين المبكرين. وضم الكتاب أيضا الاخبار الاخرى التي تتصل بأحداث العباد وأخبارهم، فلا نعتقد أن هناك مصنفا سبقه أو عاصره أو بزه فيها[5].

كما لم يخلو الكتاب من الأخبار المتصلة بتراجم شعراء الفرس الذين أتصل بهم القزويني كالفردوسي وناصر خسروا وعمر الخيام وغيرهم، فضلا عما أشتمل عليه وزخر به من الاخبار الممتعة المسلية[6]، أما كتابه الثاني ((عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)) ويرجع الى عام (661هـ/ 1263م) وأعتبر من عداد الكتب الفريدة الغنية بالمعارف العلمية لكل من علم الجغرافية والفلك وحيث وصف الارض وما عليها، وتحدث عن الكواكب والابراج وحركاتها وما ينتج عنها من فصول السنة والشهور والايام، والجدير بالذكر أن بعض المؤلفين لتاريخ العلوم يطلقون على هذا الكتاب أسم (كورزموغرافيا) لما يتضمنه من معلومات تخص نشأة الكون[7]،لاريب أنه اجل ما أنتجه

---

[1] أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، ص2.

[2] كرا تشكو فسكي، الادب الجغرافي، ص364؛ أحمد رمضان والرحلة والرحالة المسلمون، ص297؛ علي الدفاع، رواد علم الجغرافيا، ص186.

[3] كرا تشكو فسكي، الادب الجغرافي، ص364.

[4] علي الدفاع، رواد علم الجغرافيا، ص186.

[5] كر ا تشكو فسكي، الادب الجغرافي، 365؛ أحمد رمضان والرحلة والرحالة المسلمون، ص398.

[6] حسن أبراهيم حسن، الاسلام السياسي، ط1، دار الجيل، 1996، ص586؛ أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ص398.

[7] كرا تشكو فسكي، الادب الجغرافي، ص362، علي الدفاع، رواد علم الجغرافيا، ص186.
كرا تشكو فسكي، تاريخ الادب الجغرافي، ص361.

في هذا الميدان علماء العصور الوسطى[1]. وفي ضوء ما تقدم نستخلص القول أن القزويني مفطور على حب التسهيل والتبسيط في كتاباته، فهو دائما يحاول أن يتعامل مع المتخصص. وقد أتبع بذلك المنهج الذي يعتمد على التجربة والاستنباط اللذين كانا نبراسا. كما تميز القزويني عن غيره في الاصالة والامانة في النقل، واعطاء كل ذي حق حقه. فقد قضى معظم حياته عاكفا على قراءة الكتب والاستزادة في كشف الحقيقة والوقوف عليها، والمعروف أنه كان يردد أنه يجد في البحث والاستقصاء والمتابعة لذة هي أسمى اللذات، ويجمع الباحثون في تاريخ العلوم أن القزويني شخصية بارزة في عالم الفكر والمعرفة[2].

وظيفته:

فيما يخص هذا الجانب المتعلق بوظيفته، ونظرا لعلو شانه في مجال العلم والفقه والحديث، من غير المحتمل والبديهي أن لا تستثمر تلك الامكانيات والقدرات العلمية التي حازها القزويني وشخصيته المرموقة في مجتمعه ومكانته التي نالت اعجاب وثناء الناس عليه فما هي الا مسألة وقت ومهمة اسناد الوظيفة واناطتها به سوف تظهر للعلن، وعلى الرغم من حياته المليئة بالجد والمثابرة العلمية وتعدد محطات رحلته شرقا وغربا، وان ظهور بواعث وظيفه سامية في حياته قد لاحت بالإفاق عندما سجلتها اقلام من دونوا عن سيرته ورحلته مشيرين الى توليه وظيفة القضاء وتكليفه بمهمة ادراتها في مدينتي الحلة وواسط بالعراق وتحديدا في حياة الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة(640-656 هـ/ 1242م-1258م) أخر خلفاء بني العباس[3]. لكن الكلام الذي يتبادر للأذهان في مسالة التكهن بشأن الوظيفة وصعوبة القول أذا ما بقي في وظيفته هذه أم تركها عقب استيلاء هولاكو على بغداد، ولكن المؤكد أنه استطاع مواصلة دراساته العلمية بعد ذلك بأ مد طويل وهو في سن متقدمة[4].

وفاته:

ألت تلك الرحلة الطويلة التي دامت لسنوات مديده، ومسيرة علمية رائده في مجالات عده في العلوم المختلفة، تنوعت ما بين حديث وفقه وعلم الفلك والأرض وغيرها، وبعيد تلك الجهود المضنية للعلم والرحلة العسيرة لأقاصي البلدان والأماكن والوجه شرقا وغربا والزاخرة بجوانب تحمل بين جنباتها ملامح اجتماعية واقتصادية، لتنبت ارض قزوين وتحت أديمها رحاله من طراز خاص وعالم فذ عبقري فريد من نوعه شق أسمه بين طيات الكتب والمؤلفات مضيئا مع دساتير الصحف بعنوان

[1] زكي حسن، الرحالة في العصور الوسطى، ص130.
[2] علي الدفاع، رواد علم الجغرافيا، ص187.
[3] كرا تشكو فسكي، تاريخ الادب الجغرافي، ص361؛ أحمد رمضان، الرحالة المسلمون، ص297.
[4] كرا تشكو فسكي، تاريخ الادب الجغرافي، ص361.

بارز سامي باقي على مر العهود والأزمنة اثير الإسم يسمق بعلمه وتحت اسم القزويني، ليؤول ذاك المجد والثراء العلمي نحو بقاع الشام ومركز المدينة التي عشقها وهام بالحب بها دمشق مؤثرها إياها على باقي المدن وإرجاء البقاع، ثاويا بها، منهيا المطاف بأرباضها، وبعد ثمانين عاما من عمره متجاوزا بقليل قضاها تتناوب عليها مراحل حياته، بدأ بسنوات الطفولة والصبا وفوق هودج الرحلة تتوسط أعوامها ذات الشوط الطويل، لتبزغ سنوات العلم وتحصيله الأوفر نصيبا، ليكون على موعدا مع المنية ليلفظ أنفاسه الأخيرة مفارقا الحياة تلك سنة 683هـ – 1283م[1].

المبحث الثاني: الجانب العسكري

أولا: الحصون والاسوار:

الحصن هو كل بناء يحيط بمساحة من الأرض ليحميها ويحصنها، ضد أي اعتداء من داخل البلاد أو خارجها، فأن أسوار المدن كانت تعرف في العصور الوسطى باسم الحصون، مثل أسوار بغداد والقيروان وغيرها من المدن والى اليوم، فأن الكثير من المدن تحتفظ بأسوارها مثل دمشق والمدن العثمانية والعمانية، والاسوار التي تتحصن المدن بها تتميز عن غيرها بعلوها ومتانتها وبذلك يكون الهدف من بنائها[2].

وأشار القرآن الكريم في سورة الحشر عن خروج بني النظير من ديارهم في المدينة، قال تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[الحشر: 3].

لذلك جاء عرض القزويني لبعض الحصون بشكل فيه نوع من التفصيل في البلاد التي حل بها في رحلته، كون تلك الفترة عجت بالعديد من الحصون، وهي بادرة طيبه تصدر منه حيال تلك الحصون عندما إخضاعها للدراسة التاريخية وفي جوانبها العسكرية والعمرانية، ومن الحصون التي انطلق السرد حولها حصن السموأل بن اليهودي الذي يضرب به المثل في الوفاء، وجاز الوصف عليه الابلق الفرد للبياض والحمرة التي اعتلت بنائه مع بروزه على تل التراب الواقع بين الحجاز والشام، ويتفحص القزويني الحصن ويراه باقيا على التلة محتفظا بأثار الابنية القديمة[3].

ويمر القزويني يمتطي هودج الرحلة لتقوده الى الرصافة مدينة بالخلاء مجاورة للرقة ممعن النظر الى اسوارها المحكمة من الحجر المنحوت، مبينا ان هشام بن عبد الملك احدثها عندما حل الطاعون بأرض الشام، مع خلو المدينة من النهر والعين مشيرا الى وجود أبار بعيده مالحة، ليعتمد

[1] كرا تشكو فسكي، الادب الجغرافي، ص361؛ زكي حسن، الرحالة المسلمون، ص130، علي الدفاع، رواد علم الجغرافيا وص185.

[2] عبد الكريم السمك، الحصون والقلاع عمارتها وأنظمتها ودورها التاريخي، مقالات متعلقة، 2013/7/25.

[3] القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار البلاد، دار صادر بيروت، د.ت، ص73.

اهلها على صهاريج الماء في شربهم داخل المدينة[1]. والى حصن المرقب المطل على بحر سواحل الشام يفرد القزويني القول حوله حصن مشرف مطلا على سواحله تلك واصفا اياه بغاية الحصانة والحسن، ليصبح مدار حديث الناس واعجابهم بها، ولم يتوقف القزويني فيما يخص حصن المرقب الى هذا الحد بل تناول الاحداث التي دارت حوله منها ان المسلمون عمروه سنة اربع وخمسين وأربعمائة، ويدور مسلسل الاحداث في هذا الحصن، وكيف ان الروم اتجهت انظارهم نحو ذاك الحصن وهاجس الاستيلاء عليه يراودهم، ويفطن المسلمون لمخططهم، وينسجوا حيلة بيع الحصن للروم مقابل المال ونجاح الحيلة، ليستولي المسلمون على الحصن والمال وقتل الكثير من الروم[2].

ويستمر برنامج جرد الحصون والاسوار وفق منهج الذكر والوصف وهذه المرة الى مدينة منبج ذات الخيرات والاقوات الكثيرة، لتجذب تلك الاحجار الهندسية على سورها انتباه القزويني، مما يرفع درجة حصانتها[3].

ويتوقف القزويني تحت اطلال تبريز تلك المدينة الوافرة بالخيرات والصناعات، ليعاين اسوارها الحصينة والمحكمة[4]. وتميل الرحلة بالقزويني صوب مدينة الحضر الواقعة بين تكريت وسنجار، والى سورها وابراجها البالغ عددها ستون برجا بين البرج والبرج تسعة ابراج صغار، بازا ء كل برج قصر والى جانبه حمام، ويمر نهر الثرثار بالقرب من مدينة الحضر تلك التصميمات الهندسية الرائعة التي تخللت سور الحضر كان دافعا للقزويني بالقول عنها[5]. اما حصن الطاق الحصين بطبرستان فقد عرج القزويني عليه عائدا بتاريخه للوراء مشيرا الى قدمه في الزمان، وكان خزانة ملك الفرس[6]، وأول من اتخذه منو جهر بن ابر ج بن فريدون، معلقا على اوائل النشاءة عبارة عن نقب في موضع عال في جبل يصعب سلوكه. مضيفا ان الجبال المرتفعة تحيط به من جميع الجوانب، وبلوغها اصبح عائقا، ويتعقب القزويني سير الاحداث حول ذاك الحصن موضحا صعوبة بلوغه حتى بعد تملك العرب لطبرستان، ليتولى الما زيار حكم طبرستان ليضع نصب عينه كيفية اقتحامه، وتسنى له ذلك عندما، قام رجلا من اصحابه وصعد اليه، ليدلي حبالا اصعد قوما فيهم الما زيار، ليقف على

[1] القزويني، أثار البلاد، ص198.

[2] القز ويني، أثار البلاد، ص261؛ ابن تغري: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري، (874هـ/ 1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 7، ص269.

[3] القزويني، أثار البلاد، ص274.

[4] المصدر نفسه، ص339.

[5] المصدر نفسه، ص، 354.

[6] القزويني أثار البلاد، ص356؛ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/ 1333م)، نهاية الأرب في معرفة أهل الادب، تحقيق: نجيب مصطفى الفواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج 26-27، ص20.

ما فيه من الاسلحة والاموال والكنوز، ويبقى بيده الى وفاته[1].وتقود القزويني احدى الجولات الى دير كرد شير، على حد زعمه يقع وسط مفازة مهلكة بين الري والقم، ولولا هذا الدير لم يمكن قطعها، ويرمق القزويني بنظره الثاقب المعالم العمرانية لذاك الدير الذي هاله روعة البناء وسوره العظيم[2].

المتكون من أجر كبار، وفيه الأبنية والآزاج والعقود، أما صحنه المتوسط ذاك البناء فكان على قدر جربين كبيرين أو اكثر، وحوله صهاريج منقورة في الحجارة الواسعة تشرب السابلة منها طول السنة، ونظرا لذاك البناء الضخم المهول، وربما الشك يساور الظنون، والتكهنات تطرأ حول مقدار كلفة البناء ومبلغ الصرفيات على بناء الحصن، ليهتدي القزويني الى ضالته ويزيح المخاوف بتفسير منطقي يفضي الى حقيقة التكلفة، وكأن الأمراء والحكام القائمين على بناء الحصن علموا لاحقا ان تكلفة ستكون مثار الجدل لمن يأتي بعدهم وأماطوا اللثام حوله ليكون النقش هو الفاصل في هذه المسألة عندما عمد أصحاب الشأن الى نقش يتوسط الاساطين مكتوبا عليها: كل أجرة من هذا الدير تقوم بدرهم وثلثين وثلاثة أرطال خبز، ودانق توابل وقنية خمر، فمن صدق فبذلك، والا فلينطح رأسه بأي أركانه شاء[3]. أما مدينة شهرستان كان لها حصة في سياق الموضوع ذاته فقد تخللها بعض الأسوار والأبواب، مع شجر الكروم والمزارع والبساتين لتشكل حلقة دائرة حول تلك المدينة[4]. والى هراة المدينة العظيمة احدى مدن خراسان، ليترجل القزويني بالتعليق على انها أجل واعمر ما في مدن خراسان، ولا تساوى بالحصانة والخير بغيرها لبساتينها الجمة ومياهها الغزيرة، عازيا بنائها الى الإسكندر حين دخوله بلاد الصين، مصدرا أوامره الى كل مدينة خضعت لسيطرته، وإقامة سور يحميها من الأعداء، أما مدينة هراة وأهلها فقد وصل الى مسامع الإسكندر صفة عدم الرضوخ وقلة القبول شائعه عنهم، ليخصص لهم مدينة بعينها حسب الطول والعرض وسماكة حيطانها وعداد ابوابها، مع استيفاء اجورهم عند العودة، ومن العجب الذي لازم هراة على ما ذكر للقزويني في الازمنة الغابرة في سالف العهد وتحت حكم سلاطين الغور بني سام، عندما حل خوارزمشاه محمد قاصدا إياها مستهدفا حصارها، ويستمر في سرد الأحداث متفوها بكلام يشوبه العجب حول بعض الملامح العمرانية لذاك السور الذي بلغ به الإفراط في العرض الى درجة جعل العجلة تسير عليه ونصب المنجنيق عليها أمر ميسر حسب أمر خوارزمشاه محمد، وتتهاوى معها كل أبراج السور، مهيمنا على مدينة هراة لتكون تلك الاعجوبة داله على اثار دولته[5]. ويحل القزويني برحلته برحاب

[1] القزويني، أثار البلاد، ص356.

[2] القزويني، أثار البلاد، ص371؛ الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله،(626 هـ/ 1228م)، معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد الغني الجندي، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت، ج4، ص451.

[3] القزويني، أثار البلاد، ص372.

[4] المصدر نفسه، ص434.

[5] القزويني، أثار البلاد، ص481؛ للمزيد ينظر: أبن الاثير:عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، (ت630 هـ/ 1232 م)، الكامل في التاريخ، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ج10، ص285_286.

بخارى، عادا اياها احدى متنزهات الدنيا، ويحيط ببناء المدينة القصور والبساتين والقرى المتصلة بسور يكون حسب تقديراته أثنى عشر فرسخا في مثلها، الى حد يجمع الأبنية والقصور والقرى والقصبة فلا يرى قفار أو خراب[1]. ويستمر خطى الرحلة وتتم عملية رصد الأسوار والحصون وهذه المرة يميل القزويني الى البلقان ليراها مدينة حصينة وكبيرة امتازت بسورها العالي، عازيا سبب بنائه الى الملك قباذ [2]، ولذاك السور حكاية ارتبطت به وأصبحت حديثا يثار على مدار الوقت عندما قصد التتر بخارى ورأوا حصانة سورها، لم يجدوا حجرا يرمى به الحائط، ليستعينوا بأشجار الدلب ويقطعوها بالمناشير ليضعوها في المنجنيق، ورموا بها السور حتى خربوه، ونهبوا وقتلوا، ويتجول القزويني حول السور ليرى أيادي الأعمار قد طالته[3]

ويتجه القزويني موليا وجهه صوب الأندلس الى مدينة الجمال والطبيعة، مدينة لبلة المجاورة لأشبيلية التي عرفت بفيض البركات وجم الخيرات، ويدخل القزويني في أعماق الوصف متوقفا على تفاصيل دقيقة تخص الناحية العمرانية لسور تلك المدينة العريقة، وما ميزها عن باقي المدن تلك التصاوير الأربعة التي عقد البناء عليها، وهي عبارة عن أصنام نصبت على زواياه الأربعة، صنم يسمى دربيا، وعليه صنم أخر، وصنم يدعى مكيخا وعليه صنم أخر، وحسب ما أورده عن المدينة مستعينا بمن سبقه بالوصف كالعذري ان بنائها قائم على تلك الأصنام حتى وصل الأمر ارتقاء البناء الى اعناقها [4]، وهذا المظهر العمراني الرائع الذي بدت علية مدينة لبلة، وذاك التصميم الفني الذي انتاب سورها الفائق الجمال، مكسبا لها صفة التفرد عن باقي المدن، جاعلا الصدارة من حقها[5].

ثانيا: القلاع:

القلعة هي استحكام حربي يبني في منطقة استراتيجية كالجبل والتل او الروابي الصخرية أو على سواحل البحار فهي قاصرة على المراقبة والدفاع ضد اي عدوان خارجي، فمكوناتها هي مكونات الحصن في البناء، كلا البنائين يخدمان الغرض في مسالة الدفاع وصد اي هجوم، والقلعة بوصفها بناء حربي فأن كل ساكنيها عسكريون، بخلاف الحصن الذي يجلس فيه الحاكم ومعه رعيته، ليتحول الى مدينة صغيرة فيها المسجد وقصر الحاكم وغير ذلك من المرافق الخدمية[6] (38). وبعد التعريف

[1] القزويني، أثار البلاد، ص510؛ اليعقوبي: أبي يعقوب أسحاق بن جعفر بن وهب (ت284هـ/ 897 م)، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين ضنا وي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج، ص79، هامش (4).

[2] القزويني، أثار البلاد، ص513.

[3] القزويني، أثار البلاد، ص513؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، تحقيق: عبد القادر بابوية، دار الكتب العلمية، بيروت 1971، ص30.

[4] القزويني، اثار البلاد، ص555.

[5] القزويني، أثار البلاد، ص555؛ مؤلف مجهول، تاريخ الاندلس، ص110.

[6] عبد الكريم السمك، مقالات متعلقة، 2 /7/ 2013.

هذا، فأن الغرض الحربي والعسكري لكليهما هو واحد يتمثل في تحقيق الأهداف التي تم البناء من أجلها[1].

في عرض سريع لآهم القلاع التي شهدتها ودخلت حيز التقييد في برنامج رحلة القزويني تأتي القلعة الحصينة في اليمن (قلعة الشرف) قرب زبيدة[2]. وفي مقدمة القلاع التي يدل اسمها على عدم استخلاصها قهرا، لآنها بين جبال لا يوصل إليها إلا في مضيق لا يسع رجلا واحدا، ومسيرة يوم وبعض يوم، ودونه غياض، ومنها أوى علي بن المهدي الحميري المستولي على زبيدة سنة خمسين وخمسمائة[3]ولم تقتصر اليمن صاحبت الموروث التاريخي على القلعة سالفة الذكر بل هناك وعلى الطرف الآخر من عدن مذيخرة وقلعتها الحصينة المتمركزة على جبل وكسابقتها قلعة الشرف لوعورة الطريق الموصل إليها وصعوبة النفاذ منه جعل مسالة التفكير في استخلاصها شبه مستحيل[4]. أما قلعة طيفند المنيعة في بلاد الهند القائمة على جبل ليس لها إلا مصعد واحد، وأمدنا القزويني بمعلومات تاريخية حولها، وحكايتها مع الزمن مشهوده حين امتنع اهلها عن تأدية اموال الى يمين الدولة محمود بن سبكتكين سنة اربع عشر وأربعمائة، ويقصدها غازيا، ويمضي وقتا طويلا في حصارها والتضييق على أهلها، ليطلبوا الامان فأمنهم مع دفع الأموال التي بذمتهم، ويقر صاحبها على الخراج، ليتحف السلطان بهدايا كثيرة[5].

وما زلنا في ارباض الهند نذهب الى قلعة(كله) شاع عنها وانفردت دون غيرها بصناعة السيوف القلعية وهي الهندية العتيقة ومضرب المثل أصبحت لا يناظرها في البقاع كافة إلا في هذه القلعة[6]. ووردت في ثنايا مصنف اثار البلاد للقزويني قلعة عظيمة عالية البنيان ترى للناظر عن بعد ونظرا لارتفاعها الشاهق حرمت مدينة أنطاكية من شمس الصباح إلا في وقت الثانية ظهرا[7].

---

[1] المرجع نفسه، 25/ 7/ 2013.

[2] القزويني، أثار البلاد، ص58؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج7، ص312.

[3] القزويني، أثار البلاد، ص58؛ زبارة:محمد بن محمد بن يحيى الصنعاني، (ت1381هـ / 1962م)، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث الهجري من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص135

[4] القزويني، أثار البلاد، ص105.

[5] القزويني، أثار البلاد، ص101.

[6] المصدر نفسه، ص105.

[7] القزويني، أُثار البلاد، ص150. داهم ابن بطوطه انطاكية برحلته ويراها مدينة عظيمة عليها سور محكم لا نظير له ببلاد الشام. أبن بطوطه: محمد بن عبدالله اللواتي (ت779هـ/ 1377م)، رحلة أبن بطوطه، قدم له، محمد عبد المنعم العريان، ط1، دار أحياء العلوم، بيروت، 1987، ج1، ص92.

وإلى حلب الشهباء طيبة الهواء صحيحة التربة، لها سور يحصنها ولأن حلب المدينة تقع في وطاء من الارض يتوسط جبل مدور متهالك لتقام القلعة عليه[1].

ويمضي القزويني في رحلته الى دور قستان جزيرة بين بحر فارس ونهر مكرم خمسة فراسخ في خمسة، وسطها تقبع قلعة على حقبة الخلفاء كانت بمثابة سجن يحمل اليها المنفيون من بغداد، ويزج فيها أصحاب الجرائر الكبيرة[2]، اما القلعة التي عدت من عجائب الدنيا واورد المعجبون بوصفها، وتغنى الزائرون بلقائها، وهام القزويني بمنظرها، مرددا منثور القول بحقها ((تناطح نجوم السماء ارتفاعا وتحكيها امتناعا، حتى غدت لا تعلوها الطير في تحليقها، ولا السحب في ارتفاعها، فتتحف بها الغمام وتقف دون قلتها، ولا تسموا عليها، فيمطر سفحها دون أعلاها والفكر قاصر عن ترتيب مقدمات استخلاصها))، وهذه الأوصاف البديعة لم تكن إلا من حصة قلعة كوزا ببلاد طبرستان[3].

رغم الوصف إلا ان الشك ربما يساور الأوصال حياله، لكن قصة الضخامة والارتفاع سمة بارزه لا يمكن تجاهلها وحاضره في تصميم القلعة وشكل البناء. اما مدينة ماردين سبق وان خصها القزويني بالتقييد وعنى قلعتها بحديث ينم على المقدرة والاجادة في عالم الوصف عندما أخبرنا بأنها احسن قلعة على وجه الأرض ولا احكم واعظم منها، إضافة الى مميزاتها تلك فهي تشرف على د نيسر ودارا ونصيبين، وامامها ربض عظيم فيه أسواق وفنادق ومدارس وربط جعلها في موضع العجب لا تناظرها مدينة، ومما زاد في جمال ماردين ذاك التنظيم الهندسي الرائع والمنظم في دورهم التي كالدرج كل دار فوق أخرى، وكل درب منها مشرف على ما تحته[4]. رغم عزوف القزويني عن

---

[1] القزويني، أُثار البلاد، ص183. اسهب الرحالة ابن بطوطه بحديثه عن تلك القلعة، عارضا أحداثها بتفصيل أدق، ينظر: ابن بطوطه، رحلة، ج1، ص85_86.

[2] القزويني، أثار البلاد، ص195.

[3] المصدر نفسه، ص250.

[4] القزويني، أثار البلاد، ص259–260؛ للمزيد، ينظر: أبن الجوزي:شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزا، ت(654هـ/ 1256م)، مرأة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق، الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج1، ص157؛ العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى،(ت 749هـ/ 1383 م)، مسلك الابصار في ممالك الامصار، اشرف عليه، كامل سلمان، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، 26، ص297؛ ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر، (ت 749هـ/ 1349م)، دار الكتب العلمية،بيروت، د.ت،ج2، ص16؛ المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، (ت845 هـ/ 1442م)، تراجم الاعيان المفيد، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص421.

سرد الأحداث حول قلعة ماردين إلا أن مصادر تاريخية غيرها تبنت قضية الايفاء بأخبارها[1]. أما قلعة أرسلان كشاد تقع على فرسخين من قزوين، على ما يبدو ان القلعة تلك زامنتها أحداث تاريخية عصيبة امدنا القزويني بأخبارها وعرضها ضمن منهج أهمية المعلومات التي لا يمكن التغاضي عنها ذاكرا فيها كيف ان الاسماعيلية إحدى فرق الشيعة سنة خمس وتسعين وخمسمائة جاؤوا بآلات على ظهر الدواب في إحدى الليالي، ليسفر الصبح عن انسداد مسالك الطرق لآهل قزوين، وتتسارع معها طلبات النجدة لملوك الأطراف دون جدوى، وينبري من بين تلك الأحداث وعلى حد قول القزويني صاحب الكرامات والعجائب الشيخ ابو علي اليوناني، متوجها من فوره الى خوارز مشاه تكش أرسلان بخطاب يطلب فيه دفع الضرر عن أهل قزوين وإلا الإصابة بملكه ونفسه، ويعمل الخطاب مفعولة وتنطلق النجدة وتتحرك العساكر نحو القلعة لحصارها وأخذها صلحا،مع شحنها بالسلاح والرجال وتسليمها للمسلمين[2]، وجدير بالذكر ان الأحداث لم تتوقف الى هذا الحد بل تبعتها امور جسيمة مهمة مفادها ان الباطنية إحدى الفرق الضالة دخلوا القلعة ليلا بعدما عملوا نقبا يوصل الى داخلها، ليستولوا عليها بعدما قتلوا ا المسلمين فيها، ويعاد لسيناريوا ذاته عندما بعث الشيخ الى خوارزمشاه مرة أخرى، فجاء بنفسه وحاصرها بالعساكر لمدة شهرين، وتسلم القلعة مع الامان لمن فيها، ويعمد السلطان الى تخريبها وابطال حصانتها، ومشاهد التخريب وأثار الحدث مازالت قائمة عاينها القزويني عن قرب[3].

وهنا يستعرض القزويني إحدى القلاع الحصينة المعروفة بقلعة الموت[4]، الواقعة في ناحية ر وذ بار بين بحر قزوين وبحر الخزر، من الواضح وخلال العرض يتضح أن قلعة الموت ذات طبيعة جغرافية تتعلق بالأرض المحيطة بها والمتكونة من خفرة واسعة تعيق نصب المنجنيق وبعيدة عن مرمى السهام، تحصينات تدفع بالإسماعيلية لاتخاذها كرسي لملكهم، ويستحضر القزويني بداية القلعة ونشأتها مع ترشيح قوليين رائجين دون أقحام نفسه في الترجيح تاركا الأمر يخضع لعملية التكهنات حول ذلك الأول يقضي ان بعض ملوك الديلم أرسل عقابا للصيد وتبعها فرأها وقعت على هذا

[1] أبن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص54؛ محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، ط6، المكتب الاسلامي، بيروت، 2000، ص119؛ طارق اسماعيل كاخيا، جولة في تاريخ الترك والتركمان عبر العصور والازمان، تركيا، 2015، ج1، ص86.

[2] القزويني، أثار البلاد، 292.

[3] المصدر نفسه، ص293.

[4] عدنان زهران، نهضة الامه بين عوامل الانحدار وسبل الارتقاء، راجعه، عبد الرحيم السلوادي، دار زهران، للنشر والتوزيع، االارد، 2008، ص302، هامش (4).

الموضع، فوجده موضعا حصينا، فأتخذه قلعة وسماها أله الموت في أشاره الى الاحرف م وت، اما الراي الرائج الاخر ان اسم القلعة بتاريخها لانها بنيت سنة ست وأربعين وأربعمائة[1].

وبمعية القزويني نطل على قلعة أخرى من القلاع الحصينة عبر الخبر ونافذته قلعة فنك، مع تحديد موقعها بقرب جزيرة أبن عمر، مقدار فرسخين، وقلة مرتفعة عنها ارتفاعاً كثيرا من صخرة كبيرة مكنها من الاستقلال بنفسها، ويؤكد القزويني هنا إنها بيد الاكراد البشنويه منذ ثلاثمائة سنة، عرفوا بخلائل المروءة والعصبية، يحمون من التجأ اليهم، بعد ذلك تبرز رواية تملك القلعة بيد رجل اسمه أبراهيم ومنازعة أخيه عيسى للهيمنة على القلعة أحب القزويني والدخول في خبرها يطول ذكرها[2]. ويواصل القزويني حصر القلاع وذكر خبرها، ففي بحيرة أرمية من بلاد أذربيجان، يرصد بخبرته المعهودة وجود قلعة حصينة تتوسط البحيرة وعلى اليابسة منها، ولحصانتها لا سبيل لقهرها نجد صاحبها على الدوام عصيا على ولاة أذربيجان[3]، وفي بلاد الأندلس واحدى أجزائها أرض اللان يمعن القزويني في قلعتها المشهور وهي من القلاع الموصوفة بالحصانة وبلغت غايتها حتى ذهبوا بالقول: لو رجلا واحداً منع ملوك الارض عنها يصح عنها، لارتفاعها الشاهق بالجو وعسر الطريق، ويديم القزويني جميل القول حول تلك القلعة بأنها على صخرة صماء يخرج الماء العذب منها على شكل ينبوع، ومما زاد أعجاب القزويني إضافة لحصانتها وعلوها يشرح كيف أن الماء الصافي العذب والقنطرة الشهيرة ذات البناء العظيم، يتوسطان القلعة من الصخرة الصماء، عدت من عجائب الدنيا [4]. ولم يخفي القزويني عشقه للقلاع عندما شملها بالتقييد وسطر بقلمه خبرها، مع استمرار عملية الحصر لأهمها، في إحدى جولاته في البلدان والمواضع التي زارها اثناء الرحلة، ليعرج في طريقه الى أعمال شيروا ن ويجول بنظره نحو إحدى القلاع قلعة بيقر الحصينة، مطلعا عليها واقفا الى جوراها يتمثل عظمة البناء وبداعة التصميم، عليها صور وتماثيل من الحجر يرمقها بعينه لم تعرف فائدتها لتقادم العهد، ويلحظ بعين بصيرة دار الإمارة والى الكتابة التي نقشت على بابه مع المهارة العجيبة وجودت البناء ترمز الى تفاصيل دقيقة تخص تشكيلات الدار وعدادها مع لغز قائم يصعب حله ومما كتب: في هذه الدار احدى عشر بيتا، والداخل لا يرى إلا عشرة بيوت وأن بذل جهده، والحادي عشر وضع في وجه لا يعرفه أحد، لأنه فيه خزانة الملك[5].

---

[1] القزويني، أثار البلاد، ص301.

[2] القزويني، أُثار البلاد، ص431؛ بدرخان علي، معجم القبائل والزعامات الكردية في العصر الوسيط، مجلة الحوار – العدد–73– السنة –26–2019.

[3] ينظر: القزويني، أثار البلاد، ص، ٤٣؛ بدرخان علي – معجم القبائل والزعامات الكردية – مجلة الحوار – العدد73، السنه–26–2019.

[4] القزويني، أثار البلاد، ص494.

[5] القزويني، أثار البلاد، ص553؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص442.

الخاتمة:

يعد بناء القلاع والحصون منذ زمن طويل قاعدة اساسية في ميدان الحروب، وهو نابع من تلك الاهغمية العسكرية كونه يتحكم في تغيير موازين الصراع في الحروب، وعامل مهم في المقامة وهذا يتوقف على متانة الحصون وصلابتها وقوتها امام الجيوش المهاجمة، وكذلك لما تمثلة تلك الحصون والأسوار والقلاع مصدر قوة ونفوذ للدولة التي انشأتها وتعتمد عليها في ستراتيجية عسكرية في الدفاع عن المدن أمام الجيوش الغازية، وعلينا أن نعرف أن تلك الحصون والقلاع تفصل العديد من الممالك والدويلات بعضها عن بعض على اعتبار أنها ضمن الحدود الفاصلة لها وحمايتها من الاعتداء، ويمكن اعتبار تلك الحصون والقلاع منطقة ايواء للعديد من الحراس والجنود، ولا يغفل الجانب القوي في منع عمليات التسلل إليها وصد الهجمات من دولة لأخرى.

توصل الباحث لنتائج قيمة نبعت من بين سطور الكلمات وزخم التعابير منها.

1. أن القزويني ثبت لنا قدرته وكفأته في رصد اغلب الحصون والقلاع والبوح بمجريات الاحداث بشأنها اعطى للدراسة منهجية علمية وقيمة ثقافية.
2. تبيان الجانب العسكري دليل على سمو ورقي مصنف الرحلة للقزويني.
3. تعطي أغلب القلاع والحصون إشارة على القوة والمنعة لأصحابها وحكامها، وقسم منها يشير الى عظمة الفتوحات الإسلامية مثالنا غزوة السلطان محمود السبكتكين حيال إحدى قلاع الهند العتيدة.
4. تألق بعض تلك الحصون والقلاع في الملامح العمرانية وبداعة التصميم فيها ينبئ مدى اهتمام الحكام والسلاطين في إحكام حصانتها وقوتها.
5. أثار الخراب واضحة لقسم منها وعدم امتداد اليد لترميمها شاهد على ثقل الأحداث التي عصفت بها.
6. حملت الدراسة جانب مهم في سير الأحداث وميزان القوى، وترجيح الكفة على أخرى، اضاف للمنهج العلمي نكهة واضحة، وزاد من رونق البحث، ورفع من جمالية المضمون،
7. دراسة من هذا النوع يحمل بين جنباتها أهميه خاصه، وينثر في محتواها القيمة الجديرة بالاهتمام والخوض في مضمارها يولد طاقة قوية.
8. كشفت لنا رحلة بعض من الأحداث التاريخية التي جرت على المسرح السياسي لقسم من الممالك والدويلات وتناولها بشيء من الإختصار عازفا على الإطالة في عملية السرد التي اعتدنا عليها عند أغلب من كتب التاريخ ودونه وأعتنى به، وهذه صفه اعتاد عليه بعض الرحالة.
9. جاءت بعض مفاصل كتاب آثار البلاد وأخبار العباد مصدر معلوماتنا الأول في بناء تلك الدراسة عندما أشار القزويني في صفحات ذلك الكتاب إلى أسماء قسم من الحصون والقلاع وهنا نلاحظ

منهجية القزويني في التعامل معها على أساس الأهمية وما تحمله من معلومات تاريخية وأحداث جسام، وقد جسد القزويني تلك المنهجية عندما مر ببلاد البلقان وعكف على أحداثها البارزة وتفاصيل أكثر دقة عند محاولة التتر السيطرة عليها ونجاحهم في هجومهم عليها وفق استراتيجية عسكرية تقضي بعملية اقتحام مدينة بخارى المدينة الحصينة وتخريب سورها العالي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

القر آن الكريم

1- أبن الاثير: (ت630 هـ/ 1232 م)، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 م.

2- أبن بطوطه: (ت779هـ/ 1377م)، محمد بن عبدالله اللواتي، رحلة أبن بطوطه، قدم له، محمد عبد المنعم االعريا، ط1، دار أحياء العلوم، بيروت، 1987.

3- أبن تغر ي: (ت874 هـ/ 1470م)،جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

4- أبن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزا (ت654هـ/ 1256م): مرأة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق، الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

5- الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبدالله،(626 هـ/ 1228م)، معجم البلدان، تحقيق، فريد عبد الغني الجندي، دار الكتب العلمية،بيروت.

6- العمري: (ت 749هـ/ 1383 م)، شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسلك الابصار في ممالك الامصار، اشرف علي، كامل سلمان، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت.

7- القزويني: (ت682 هـ / 1283م)، زكريا بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار البلاد، دار صادر بيروت، د.ت.

8- المقريزي: (ت845 هـ/ 1442م)، تقي الدين أحمد بن علي، تراجم الاعيان المفيد، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

9- مؤلف مجهول تاريخ الاندلس، تحقيق: عبد القادر بابوية، دار الكتب العلمية، بيروت 1971.

10- النويري: (ت 733هـ/ 1333م)، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب نهاية الارب في معرفة أهل الادب، تحقيق: نجيب مصطفى الفواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

11- ابن الو رد ي: (ت 749هـ/ 1349م)، زين الدين عمر بن مظفر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

12- اليعقوبي: (ت284هـ/ 897 م)، أبي يعقوب أسحاق بن جعفر بن وهب، البلدان، وضع حواشيه، محمد أمين ضنا وي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

ثانيا المراجع العربية:

١- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان، بيروت،1983

2- حسن أبراهيم حسن، الاسلام السياسي، ط1، دار الجيل، 1996.

3-زبارة، محمد بن محمد بن يحيى الصنعاني (ت1381هـ / 1962م)، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث الهجري من هجرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

4- الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط، ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

5- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار رائد العربي، 1981م.

6- عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، بيروت، 1987.

7- عدنان زهران، نهضة الامه بين عوامل الانحدار وسبل الارتقاء، راجعه، عبد الرحيم ا لسلوادي، دار زهران، للنشر والتوزيع، الاردن، 2008.

8- علي بن عبدالله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة التوبة.

9- طارق اسماعيل كاخيا، جولة في تاريخ الترك والتركمان عبر العصور والازمان، تركيا، 2015.

10- كرا تشكو فسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، الادارة الثقافية، مصر، 1957.

11- محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، ط6، المكتب الاسلامي، بيروت، 2000.

ثالثا: الدوريات والمقالات:

1- بدرخان علي، معجم القبائل والزعامات الكردية في العصر الوسيط، مجلة الحوار – العدد-73- السنة -26-2019.